الحفاظ على تراث بلدي الذي يعني في النهاية الهوية الفلسطينية هوية الشعب الفلسطيني في أرض هي له سابقاً ولاحقاً من نهرها إلى بحرها.

شاركت كسائر الفلسطينيين في التظاهرات والمناسبات والخطابات وبعض الأعمال النضالية الحركية، وعندما طال زمن الغربة وضعفت بُنْيَتي وجدت أن المجال في خدمة تراث بلدي مناسبة لحالتي الصحية، بالإضافة إلى استعدادي الحميم وميلي الغريب إلى درجة الغرام بتراث بلدي بكل تلوينه وفسيفسائه، مثل الأغاني الشعبية والأزجال الشعرية والدبكات والأكلات والألعاب والعادات والتقاليد في المآتم والأفراح والمناسبات الدينية والوطنية والتراثية، التي هي موضع شغف بالنسبة لي فضلاً عن أنها جزء خطير من هوية الوطن. فأنا أرى في مجال خدمة تراث بلدي لوناً من ألوان النضال، وكل فلسطيني يتوجب عليه أن يخدم بلده في المجال الذي يستطيع العمل والحركة فيه..

– استطاع العدو الصهيوني أن يسرق الوطن فهل استطاع أن يسرق التراث؟

■ سرقة اليهود الصهيونين الإسرائيليين للتراث الفلسطيني تتم جهاراً نهاراً، وبوقاحة يلحظها الآخرون؛ كل الآخرين.. وهكذا أصبحت أكثر أغانينا الشعبية، وأزيائنا الشعبية ذات النمنمات الرائعة، ورقصاتنا ودبكاتنا، من الشعراويّة والشمّاليّة إلى الدّحّيّة والكرّادية، إلى حكاياتنا الحميمة المغرقة في قدمها وأصالتها، من (الشاطر حسن) إلى (العنزة العنوزيّة) و(نص نصيص في الخمّ)، إلى الألحان الشعبية، والموسيقى التراثيّة التاريخية، إلى الأكلات الشعبية العربية، بدءاً بمناقيش الزعتر والفلافل، والباذنجان المغمور، وصولاً إلى خلطة البهارات، أصبحت هذه كلها بزعم اليهود صورة من صور التراث الإسرائيلي الوافد، الطارئ، الذي لا يزيد عن خمسين عاماً!

الاحتلال، إذن، يريد سلب التراث وادّعاء ملكيته كما سلب فلسطين وادّعى ملكيتها!!

– هل يستطيع الصهاينة أن يكون لهم تراث بمسافة زمنية قصيرة؟

■ هل يعقل، لشعب متعدد الجنسيات، وفد إلى فلسطين، بعد عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٤٨، أن يكون له تراث متعدد الأوجه والصور والحالات، من عادات وتقاليد وحكايات وحكم وأمثال وأزياء وأغانٍ ودبكات وأكلات وألعاب وميثولوجيا، في مسافة زمنية لا يؤخذ بها في عمر الزمان؟! علماً أن هذا التراث لا يترسخ ولا يستمر، ولا يقوى على البقاء إلا في ظل وجود شعب أصيل متأصل متجذر في أرضه، ومتجانس لغةً وتاريخاً وموقعاً جغرافياً، وهموماً مشتركة من الآمال والآلام المتأججة، في بيئة متماسكة، يغلب عليها الثبات والاستقرار!! كما هو حال الشعب الفلسطيني الأصيل، ابن فلسطين منذ مئات السنين..

– ما العمل إزاء أفعال هذا العدو الذي سرق الوطن ثم بدأ بسرقة التراث؟

■ إن العدو الغاشم نجح في سرقة الوطن، وإن من يسرق وطناً بكامله، لا يستحي أن يسرق بالتالي تراثاً يمثل التاريخ الشفوي للشعب الفلسطيني على مدى عصور زمنية تراثية طالت.

معركتنا مع هذا العدو، معركة مفتوحة في كل الاتجاهات، وما علينا إلا الصمود والتصدي لكل أفاعيل هذا العدو الاستثنائي اللئيم، المدعوم بقوى الظلم العالمية، وعلى رأسها أميركا، ودول أخرى تابعة، ومؤيدة لها..

كان (بن غوريون) الزعيم الصهيوني يراهن على أن الشعب الفلسطيني المطرود من أرضه بعد نكبة ١٩٤٨، سينسى شيئاً اسمه (فلسطين)، فضلاً عن شيء اسمه (التراث) وذلك بعد مرور ٥٠ عاماً.

وها قد مر ثمانية وخمسون عاماً، والشعب الفلسطيني في قمة نضاله وثَوَرانه، مستمراً في توهجه المعطاء، نضالاً وذاكرة، وحباً وتعلقاً بالوطن، وإصراراً على العودة إليه، محرراً من النهر إلى البحر..

– كما علمت أنك ولدت في قرية الدامون عام ١٩٣٩، هل تعني لك القرية شيئاً وهل ما زالت في الذاكرة؟

■ هاأنذا و بمشيئة الله دخلت في الثامنة والستين من العمر وما زالت قريتي (الدامون) لا تبارح ذاكرتي في كل سكناتي وحركاتي. هناك التباس فظيع بين ماض كان في قرية جميلة وبين واقع قاتم حالي، وباستمرار تظل قريتي صوراً للفرح ولحظة أنس وسعادة. بيوتها وحاراتها وأزقتها ومسجدها وكنيستها وبيادرها وسور أشجار الصبير الذي يحيط بها كما يحيط السوار بالمعصم، وزيتونها ولوزها وتينها وكل الكروم الفاتنة، والحقول والسهول التي تمتد بساطاً أخضر، صوب الغروب باتجاه عكا التاريخ وسورها العملاق وزرقة البحر وأزهار الربيع من نرجس عطر إلى البرقوق الأحمر والعوسج والأقحوان والبابونج والبسباس، كلها صور لا تفارق ذاكرتي محفورة حفراً مرسومة رسماً بمعدن ذهبي. ولذا صورة الدامون والولاء للدامون أو القرية الفلسطينية في المطلق لا تبرح الذاكرة بل وتشكل هماً دائماً يدعوني إلى استعادتها.

صدق، إن (الدامون) تنام على يميني يومياً فأحدثها وتحدثني وأسوح في حواريها وحقولها وهضابها ومراعيها كطائر الحسون أو الشحرور اللذين لا يفارقان أشجار (الدامون).

وحبي لقريتي دفعني إلى وضع كتاب عنها يلحظ كل شيء يمكن أن يقال عنها قبل نكبة عام ١٩٤٨، وضعت هذا المؤلف خدمة لأبناء الدامون ليعرفوا أن لهم قرية جميلة غنية يفترض بهم ألا ينسوها، ويعملوا لاستعادتها من الغاصب المحتل.

– لقد اخترت العمل في خدمة تراث بلدك، ومثل هذا العمل يتطلب جماعات أو مؤسسات؟

■ كنت أتمنى أن توجد المؤسسات أو الجماعات المتخصصة في جمع التراث الفلسطيني الغني جداً بكل تلوينه وعناوينه وموضوعاته، لأن العمل في خدمة التراث وتدوينه يتطلب أفراداً وجماعات لأن الجهد الفردي يظل في هذا المجال متواضعاً إن لم أقل ضعيفاً. نعم هناك بعض الهيئات والجهات واللجان التي تفخر أنها تعمل في المجال التراثي، غير أن أعمال هذه الجهات لا تتعدى الحالات الاستعراضية المناسباتية، ومثل هذا لا يوثق التراث ولا يعمل على تدوينه والحفاظ عليه باعتباره جزءاً أساسياً من هوية الوطن. أنا لم أختر لنفسي أن أكون منفرداً بل وجدت نفسي مضطراً للعمل من أجل خدمة تراث بلدي الذي أخاف عليه من السرقة والضياع، فأخذت زمام المبادرة وتوكلت على الله تحدوني رغبة جامحة للخدمة وهمة قوية على العمل.

لا ننكر وجود أفراد عملوا ويعملون من أجل خدمة التراث، نذكر بالخير منهم المرحوم الدكتور توفيق كنعان والدكتور نمر سرحان والأخ سليم عرفات المبيض، والأخ الصديق حسن الباش، والأخ عبد الرحمن المزين، والحاجة تودد عبد الهادي، وغيرهم كثيرون ممن يتمتعون بالغيرة وحب فلسطين.

– ماذا تقول لأبناء فلسطين الذين ولدوا في الشتات؟

■ أقول لهم يا أبنائي يا من ولدتم في ديار الغربة والشتات، لو تعلمون عظمة بلدكم فلسطين مثلما أعلمها لعزّ عليكم النوم.

فلسطين بلد عظيم، لا لأنه وطني بل لأنه هو فعلاً كذلك. ومثل هذا البلد العظيم في موقعه وتاريخه وشعبه تسترخص من أجله النفوس وعندما تعودون إلى الوطن إن شاء الله ستتحققون من صدق دعواي.

فلسطين كانت لنا وسنعيدها كاملة بإذن الله تعالى عندما تتوفر النية والإرادة وحب الشهادة.

سنرجع يوماً إلى حينا ونغرق في دافئات المنى

سنرجع مهما يمر الزمان وتنأى المسافات ما بيننا. ■